

# II

## كتاب الأغاني وعلاقته بالموسيقى

لقد جاء كتاب الأغاني لأبي الفرج الصفيهاني شاملا لا هم ما يتعلق بالموسيقى العربية من حيث تاريخها وموقف الدين الإسلامي منها وأشهر ممارسيها من الرجال والنساء مع بيان أصواتها أي مقاماتها وإيقاعاتها اعتمادا على آلات عزفها .

فقد كانت الخنساء شاعرة الرثاء تغني مراثيها، وتغني الأعشى ميمون بن قيس متغزلا في ( هريره ) إحدى مغنيات الحيرة في أيام النعمان، وكان للحادي دور أساسي في رحلات التجار إذ على نغامته تقطع الإبل المفاوز غير شارعة بثقل حملاتها .

وعندما جاء الإسلام أقر الذوق السليم والصوت الحسن، ومن أبرز الشواهد على ذلك قوله تعالى : " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " وما روى عن عائشة رضي الله عنها : أن أبا بكر

رضي الله عنه دخل عليها في أيام منى وعندها جرايتان تدفان وتضربان ، والنبى ﷺ متعش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فإنهما أيام عيد. وكذلك ما رواه الإمام البخاري عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كونه خرج

ذات ليلة مع رسول الله ﷺ ومعهما سيدنا أبو بكر رضي الله عنه فإذا رجل يصل في المسجد فقام

رسول الله ﷺ يستمع قراءته وقال فيه " من سره أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقره على قراءة ابن أم

عبد " ثم جلس الرجل يدعو فجعل الرسول ﷺ يقول له سل تعطه فقال سيدنا عمر " فقلت والله لا غدون إليه فلأبشره " قال فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني فبشره فوا الله ما سابقته إلى

خير قط إلا سبقني إليه ، وابن أم عبد هو سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد اشتهر

بجمال الصوت .

وفي مناسبة أخرى قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " قال لي النبي ﷺ أفرا علي قلت يارسول الله أفر عليك وعليك نزل " قال نعم قفرائ سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ( فكيف إذ جننا من كل أمة بشهيد وحننا بك على هؤلاء شهيدا ) قال حسبك الآن فلفتت إليه فإذا عيناه تذرفان .

واشتهر أيضا من الصحابة بجمال الصوت في تلاوة القرآن الكريم سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وقد قال له رسول الله ﷺ على ( رواية الإمام البخاري) يا أبا موسى لقد أوتيت مزارا من مزامير آل داود .

كما اشتهر من الصحابة سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه بحسن الصوت وقد اختاره ﷺ ليكون أول مؤذن في الإسلام .

وفي ذلك العصر أهدى المقوقس حاكم مصر جاريتين للنبي ﷺ فتزوج إحداهما وهي (ماريه) وأهدى الثانية لسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه واسمها (سرین) فأصبحت مغنية مشهورة، إرتكزت عليها المدرسة الموسيقية وتتلذذ عليها جهابذة الفن .

وروى لنا ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه وقد رشّ فناء اطمع ، معه أصحابه سماطين (صفين ) وجارية له يقال لها "سرين" معها مزهر تختطف

به السماطين وهي تغنيهم فلما مر النبي ﷺ لم يأذن لهم ولم ينههم ، فنتهى إليها وهي تغين  
هل علي وبحكما أن لهوت من حرج

قال : فتسم النبي ﷺ وقال: " لا حرج عليك إن شاء الله "

وابرز لها هذا الكتاب عناية الخلفاء والأمراء بالموسيقى ونكتفي في ذلك بالتعرض إلى أمير المؤمنين إبراهيم بن المهدي وأخته عليه في العصر العباسي وقد اشتهرا بالتلحين والغناء وإجادة الشعر .

هو الخليفة إبراهيم بن الخليفة المهدي العباسي ولد ببغداد 162 هـ / 778 م أمه (شكلة) ابنة ملك طبرستان اغتتم فرصة الخلاف بين أشياح أبني أخيه هارون الرشيد (الأمين والمأمون) ليستأثر بالخلافة لنفسه وقد دامت له مدة عامين (204/202 هـ - 819/817 م ) تحمل فيهما من الهجاء ألونا - من ذلك قول دعبيل الشاعر :

إن كان إبراهيم مضطلعا بها (1) فتصلحن من بعده لمخارق 2  
ولتصلحن من بعد ذلك لزلزل (2) ولتصلحن من بعده الممارق

—  
1/ أي الخلافة

2،3 / مقوسان مشهوران معاصران له

ثم قبض عليه فاستعمل أدبه وفنه ليتتزع العفو من الخليفة المأمون عندما أحضره هذا الأخير من  
السجين حيث أنشد أمامه :

ذنبى إليك عظيم  
فخذ بحقك أو لا  
وأنت أعظم منه  
فاصفح بفضلك عنه  
إن لم أكن في فعالي  
من الكرام فكنه

فقال المأمون : القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة، وعفوا الله بينهما وهو أكبر ما يحاول يا إبراهيم،  
لقد حبيت إلى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه  
- لا تثريب عليك يغفر الله لك .

وأصبح بعد ذلك موسيقى محترفا، زعيما للحركة الموسيقية الرومنطقية وقد أعانه على ذلك  
معرفته الواسعة بالشعر والعلوم والجدل مع براعته الفائقة في العزف على مختلف الآلات وعلمه  
بالنغم والوتر والإيقاع وصوته الرائع ذو القوة الهائلة الذي كان يغني به الصوت الواحد على أربع  
طبقات ويروي لنا يحيى بن المنجم انه غنى على الطبقة التي كان العود عليها وعلى ضعفها  
وعلى أسجاحها وعلى أسجاح أسجاحها .

لقد كان إبراهيم ميالا إلى لا ابتكار ومعاكسا بذلك التيار الفني في عصره لان أغلب  
الموسيقيين والمفكرين كانوا يؤيدون مدرسة اسحاق الموصلي التي تركز على المحافظة على  
التراث وعدم الخروج عن أصوله وعندما يغلب عليه ذلك يقول أنا ملك وابن ملك وأغنى كما  
اشتهرى وعلى ما ألتذ حتى كون مدرسة للمجددين .

وقد أيد التاريخ مدرسة إبراهيم بن المهدي وتطورت ابتكاره وظلت حية مدى ما يزيد عن الخمسة أجيال وهكذا فقد سام في بناء مجد الفن العرب وبعث روح الابتكار في شباب جيله عليه هي الأميرة علية بنت الخليفة العباسي المهدي وأخت الخليفة هارون الرشيد والخليفة الفنان إبراهيم ابن المهدي ، كانت أمها مكنونة من أجمل مغنيات المدينة اشترها المهدي في خلافة والده أبي جعفر المنصور بمائة ألف درهم وفضلها على زوجه (الخيزران ) وأخفى أمرها إلى وفاة أبيه . وقضت صباها في أحضان الخلافة العباسية فتعلمت وتثقفت ورضعت لبان الفن من والدتها فنشأت مغنية مطربة وملحنة بارعة وشاعرة بليغة وكانت بازاء ذلك تقيه وورقة وهي التي نقول : ما حرم الله شيئا إلا وقد جعل منه عوضا فبأي شيء يحتج عاصية والمنتك لحرماته ؟ وهي التي تقول :

لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط

قالت عن شعرها المملوء بالغزل : لا أقول شعري إلا عبثا وقدمها بعض المؤرخين عن أخيها إبراهيم في الغناء والتلحين رغم ما اشتهر به من كونه رئيس مدرسة المجددين وابرز مزاحم لإسحاق الموصلي وأبيه، وقالوا عنها ما استمع في الإسلام قط أخ وأخت احسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته (علية) وكانت تقدم عليه وكانت لمكانتها العالية لا تغين إلي في ناديها الخاص الذي يجمع خيرة الأدباء والفنانين أو لدى أمير المؤمنين في حفلات خاصة .

حضر الرشيد ذات ليلة ببيت إبراهيم الموصللي وطلب الغناء فتقدمت إليه جارية بلحن  
طروب في ما بدايته :

بنى الحب على الجور فلو انصف المعشوق فيه لمسج  
فطرت وسأل لمن اللحن فأجبتة القينة بأنه والكلمات لأخته (علية) وغنته جارية ثانية :  
تحبب فأن الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب  
فاعجب بالكلمات واللحن فإذا هما لعلية ، وغنت تالثة  
يا موري الزند قد أعيت قوادحه أقبس إذا شئت من قلب بمقباس  
ما اقبح الناس في عيني واسمهمم إذا نظرت فلم أبصرك في الناس  
واستعاد الرشيد القطعة مرار ولما علم أنه لأخته نظما وتحينا ذهب إليها في ساعة متأخرة من  
الليل، فشكوها وأحيا معها بقية السهرة

وتروي لنا حادثة أن عليه كانت بارعة الاخراج متقنة التنظيم وصورة ذلك أن أم جعفر زوج  
الرشيد اشكت إليها ميل زوجها إلى جارية جديدة بديعة الجمال فأجبتها بقولها : لا يهونك هذا فوا  
الله لاردنه إليك.

ثم دريت جواريتها وجواري أم جعفر وبقية جواري القصر على غناء لها صاحبتة بإخراج  
وحركات جذابة وألبستهن أجمل الثياب وأبهى الحلي وابرزتهن للخلفية وهي مع أم جعفر في مقدمة  
المشهد الذي لم يشاهد الرشيد مثليه فيأخذه الإعجاب والطرب ويقبل معتذرا لزوجه مكرما لأخته  
التي أفهمته الموقف بشعر الغناء الذي كان :

متفصل عني وما قلبي عنه منفصل  
يا قاطعي اليوم فمن نوبت بعدي أن تصل  
وهكذا كانت عليه الأميرة الورعة والمغنية البارعة التي رفعت درجة الغناء وأهله وحلقت في سماء  
الأدب وقضت حيتها في السعادة التي يتمناها كل أديب وفنان  
ونرى أيضا كيف أن هذا الكتاب أبرز لها العناية بحقوق المؤلف والعناية به إلى إعطائه  
نسبة عشرة أضعاف مما يأخذه المؤدي وذلك قبل أن يتناول الغرب هذا الموضوع بنحو عشرة  
قرون وذلك من خلال ما يأتي من حياة الموسيقار العباسي إبراهيم بن المهدي  
تعلق غرض إبراهيم بشراء ضيعة ثمنها مائة ألف درقم فدعا بالمغنى مخارق وعلمه لحنا  
ووجهه إلى الوزير يحيى بن خالد البرمكي ليعلمه بدوره إلى جواريه فأعطاه المائة ألف للملحن  
وعشرة ألف له ولكن إبراهيم الموصلي شح بالمال وأعاد الكرة في اليوم الثاني مع الفضل بن يحيى  
بلحن أحسن من الأول، فتحصل به على عشرين ألف للمغني مخارق ومائتي ألف للملحن عشرين  
ألف للمغني مخارق ومائتي ألف للملحن - فأعاد ثلاثة مع الوزير جعفر ابن يحيى البرمكي بلحن  
احسن من سابقة وتحصل به ثلاثين ألف للمغني وثلاثمائة ألف للملحن وسمع يحيى بهذه الجولة  
الفنية فاشتري الضيعة لحساب إبراهيم الموصلي، وفي ذلك اعتراف بحق الملحن وتفضيله على  
حق المؤدي بعشرة أضعاف .

كما عرفنا هذا الكتاب بعناية العلماء والأطباء والفلاسفة والقضاة بالموسيقى وبعلمها من  
أمثال : فيلسوف العرب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي. وأبي نصر محمد الفارابي وابن  
علي الحسن بن سينا ونلحق بهم من عرفنا بهم المري في كتابه "نفع الطيب" من أمثال : فيلسوف  
الأندلس أبي بكر محمد المعروف بابن بكر محمد المعروف بابن "باجه" وقاضي مدينة قفصه  
بأفريقيا (التسمية القديمة لتونس ) " احمد التيغاشي " و" أبو الصلت أميه بن عبد العزيز " و  
عباس بن فرناس " وهو أول من حاول تطير جسمه سنة 272 خ 887 م

### السلم الموسيقي لدى الاصفهاني

يذكر لنا أبو الفرج الاصفهاني عددا من الرموز لبيان الدرجات الصوتية هي :

- (1) مطلق مجرى الوسط ، (2) مطلق في مجلى البنصر (3) سبابه في مجرى الوسطى (4)
- سبابه في مجرى البنصر، (5) وسطلى في مجراها (6) بنصر في مجراها (7) خنصر في مجرى  
البنصر

ومن المنفق عليه أن الآلة الموسيقية المعتمدة في هذه الرموز هي (العود)  
حيث لم نرى الصفهاني يذكر آلة أخرى للمغنين والملحنين غيرها، وعندما نراجع كتب الفيلسوف  
أبي نصر الفراهيدي وأبي علي ابن سينا وابن زيله وصفي الدين الرموي وغيرهم من الباحثين في  
الموسيقى يتبين لنا الاتفاق على اشتغال العود على أربعة أوتار أساسية وهي : البم، والمثلث  
والمثنى ، والزير ويفترض هؤلاء الباحثون وترا خمسا يسمونه الزير الثاني وقد أثبتته الرموي وأن  
تسوية أوتار العود هي كالآتي :

- 1- مطلق البم مثل سبابه المثنى ، أي عشيران، والحسيني
  - 2 - سبابه البم مثل بنصر المثنى (العراق والاورج)
  - 3 - وسطى البم مثل خنصر المثنى أو مطلق الزير (الراست والكردان)
  - 4 - بنصر البم مثل سبابه الزير البم جهة الأنف (زير كلاه وشاهناز )
  - 5 - خنصر البم مثل مطلق المثلث (دوكاه)
  - 6 - المثلث مثل سبابه الزير (دوكاه ومحير)
  - 7 - سبابه المثلث مثل بنصر الزير (سيكه وجوابها)
  - 8 - وسطى المثلث مثل خنصر الزير (جهاركه وجوابها)
  - 9 - بنصر المثلث ويدل على (الحجاز)
  - 10 - وخنصر المثلث مثل مطلق المثنى
- وهذا يبين لنا بوضوح أن العود لم تتغير تسوية أو دوزانه أو تقعيده على حسب التعابير  
من القرن الأول للهجرة والقرن السابع الميلادي ماعدا الوتر الخامس الغليظ الذي يسوى الآن  
(يكاه) أو قرار جهار كاه أو قرار بوسلك حسب المدرس  
كما أن وتر الزير الثاني الذي رسمه صفي الدين الارموي في كتابه الأدوار والرسالة  
الشرقية هو مستعمل الآن عند بعض الموسيقين - وبذلك سهل علينا ربط الحاضر بالماضي .  
ومما ورد في الكتاب المذكورة أن هنالك مجريين الوسطى أو البنصر لا يمكن لقاؤهما معا  
- كما يذكر ابن المنجم أن مطلق المثنى يسمى نغمه العماد لأنه يعتمد عليه في الطبقة والتسوية  
وقد بقي ذلك متداولاً حتى الآن حيث يبدأ العازفون به عند التسوية في جميع البلاد العربية (نو -  
صول)



وبناء على ما تقدم نركز الروموز على وتر المثنى وعليه تكون درجات الاستقرار ومنها يبدأ سلم المقام وهذا ما جعل المتأخرين يحدثون وترا قرارا لهذا الوتر وهو اليكاه كما أسلفنا مع إمكانية تركيزها على كل من وتري المثلث أو البم إذ المسافة بين الدرجات هي، هي وتكون سلالم الأصوات كالاتي بالنسبة للمثنى .

1- مطلق في مجرى الوسطى : مطلق المثنى -سبابته -وسطاه - خنصره (الوافق للزير المطلق ( سبابه الزير - وسطاه وخنصره - أي : نوى - حسيني عجم - كردان محير سنبله جواب الجهاز كاه - وجواب النوى

وقد رأينا العوادين القدامى يستبدلون عزف جواب النوى الذي يستلزم الغفق على ذراع العود بالنوى أو المثنى واخرهم الاستاذ المرجوم محمد القصبجي والاستاذ المرجوم الهادي الجويني، وذلك أسهل في الأداء - وبالنسبة للعازفين على العود الشبان فقد توخوا الطريقة الصعبة التي تمكنوا بها من استخراج جميع امكانيات العود بالغف على وتر الزير (الكردان) وهذا يرجع في نظري إلى التلاقح مع المدرسه التركية في العزف على العود وقد ظهرت في مجموعة من عازفي حلب لقربها من الحدود التركية وفي بغداد بواسطه العازف التركي الشهير الشريف محي الدين الذي طبق ما اجراه الغرب على آلة الفيولنسال على طريقته في العزف على العود وكذلك مع المدرسة التونسية في العود المعروف بين تونس وقسنطينة باسم (العود العربي والذي في تميز عزفه على الغفق تخالف تسويته تسوية العود الشرقي وهي من اسفل الى أعلى (كردان -نوى - محير - دوکاه) ويتخذ في طريقة عزفه مع

(اللوطة) التركيبة اليونانية وفي شكله مع الكبزه) الرومانية وتصور لها هذه الدرجات سلم النهاوند أو  
المقام الصغير الغربي (mineur)

2- مطلق في مجرى البصر : تتغير في الوسط بالبصر أي العجم والسنبلة بالالوج وجواب  
السيكاه ويقابل حينئذ مقام الرست نيروز - أو محير العراق التونسي والعراق الجائري

3- سبابه في مجرى الوسطى : يماثل سمل النهاوند مع جعل المقر على الدرجة الثانية ويقابل  
المقام العراقي المسمى (اللامي)

4- سبابه في مجرى البصر : يماثل سلم الراسن نيروز مع الوقوف على الدرجة الثانية ويقابل  
مقام البيتاي عشرين - ولنا منه المثل التونسي موشح رايت الرياض (1)

5 - وسطى في مجراها : وهو يبدأ من الدرجة الثالثة للنهاوند فيعطينا العجم عشرين او المقام  
الكبير (majeur)

6 - بنصر في مجراه - وهو يبدأ من الأوج ويعطيه سلم العراق الشرقي وعقده الاول كما هو معلم سيكاه

7 خنصر (2) في مجرى الوسط ويعطينا صورة ثانية من مقام النهاوند أو البوسلك

8 - خنصر (1) في مجرى البنصر : ويعطينا سلم الراسم المعروف حالياً ويتبين لنا من هذا البحث ان مقام الحجاز ومشتقاته لم يكن مستعملاً في ذلك العصر رغم تعرض الفرابي الى منازل في بيان درجات العود ورغم تسميته باسم منطقة من الجزية العربية وما عدا ذلك فالمقامات الحالية تتماشى والدرجات التي بينتها الكتب القديمة وروتها عن فحول المغنين والمعروف الآن ان عدد المقامات تزايد في الموسيقى التقليدية العربية خاصة بعد إنشاء المدرسة الاندلسية التي تلقت بالموسيقى اللوبية والزنجية والاسبانية وبعد التشجيع الذي لاقته على يد السلطان العثماني سليم الثالث (1175 - 1223 هـ / 1761 - 1808 م ) وتزايد أيضاً عدد المقامات بسبب سوء أداء مقامات أخرى مثل السيكاه التي ولد لنا أداؤها في أسبانيا مقام الكردي الذي كان يسمه بعد المسيقيين المصريين أو القرن (بياتي إفرنجي ) والشاهناز الذي تولد عنه في البلقان (الحجاز كار) وراست الذيل الذي أعطانا في أوروبا الأوسطي مقام النكريز والنوثر

1) يساوي مطلق الدوكاه يليه السبابه والبنصر

2) يساوي - مطلق الدوكاه يليه السبابه والوسطى

نرى مما تقدم كيف تطورت والمقدمات العربية وتزايد عددها بما قدمه كل جيل من تأليف  
جديدة تعتمد الابتكار مبتدئا مما وصل إليه السلف وعلينا أن نجمع كل المقامات المستعمل في كل  
المدارس العربية من الخليج إلى المحيط وأن نحث الملحنين على تطبيقها جميعا وبالعامل على  
تنميتها والزيادة عليها حتى يسهم  
جيلنا الحاضر بنصيبه في بناء صرح الفن العربي، وان نتخلى عن استعمال عدد قليل من  
المقامات مثلما نلاحظه الآن في العديد من الأقطار العربية والإسلامية في تعاملها مع مقام  
الكردي الدخيل ومقامي العجم والنهاوند والحال أن بحرنا زاخر بالمقامات يحسدنا عليه الغرب  
والله الموفق والهادي

الدكتور : صالح المهدي